

## في الواجهة

# ساترفيلد العائد... والودّ المفقود مع عون

اليزابيت ريتشارد ابليغت الى رئيس الحكومة سعد الحريري ووزير الخارجية جبران باسيل قرار التعيين. مع ان حلول ساترفيلد، الواسع الالمام بالشؤون اللبنانية ومراجعها ورجالاتها، في منصبه لا يعيد ترتيب لبنان في سلم الاولويات الاميركية في المنطقة، وهو في الواقع في أدها الآن لكونه البلد الأكثر استقراراً، الا ان من شأن هذا التعيين الارتفاع بكل قرار يتصل بلبنان، للمرة الاولى منذ عام 2011، من مستوى السفارة الى مستوى مساعد وزير الخارجية.

مذ بدأ انهيار الانظمة العربية عامذاك، في ظل السفارة السابقة مورا كونيللي، اقتصر القرار عليها، كما الذين خلفوها، في وقت شغلت مكاتب الشرق الاوسط في الخارجية الاميركية باحداث تونس ومصر وليبيا وسوريا، ناهيك بالعراق. كان في الامكان العثور على 20 موظفاً في المكاتب المختصة بشؤون البلدان تلك، في حين يعثر بالكاد على موظف واحد يسال عن لبنان. مذكاً، وصولاً الى شعور الرئاسة اللبنانية، اقتصر اهتمام الخارجية الاميركية من خلال السفير في بيروت على توجيه ثلاث رسائل فحسب الى اللبنانيين لا تنفصم احداها عن الاخرى: استمرار الشرعية الدستورية والحؤول دون انقطاعها باي ثمن، ضمان الاستقرار الامني، المضى في دعم الجيش والوقوف الى جانبه ضد الارهاب ومذه بالمساعدات العسكرية.

منذ انتخابه رئيساً للجمهورية قبل عشرة اشهر، لم ترسل واشنطن اشارة ايجابية الى عون بعد، ولا بدا انها في صدد تطبيع علاقتها به. نظرت البه على الدوام منذ عام 2006 الى انه حليف مسيحي رئيسي لحزب الله يدافع عن سلاحه ويبرره، فلم تتسم علاقتهم باي من السفراء المتعاقبين بود ملحوظ، من غير انقطاع خيط التواصل. حينما ذهب الحريري الى واشنطن كانت السفارة اليزابيت ريتشارد وراء الحض على استقباله هناك. مع اندلاع حرب جرد عرسال، في غياب السفارة التي رافقت الحريري الى واشنطن، لم يخف موظفون اميركيون رفيعو المستوى امتعاضهم من قيادة حزب الله هذه الحرب، قبل ان تعتمد السفارة لدى عودتها الى تعميم هذا الاعتراض على المسؤولين الذين اجتمعت بهم. في المقابل، لم يبد الرئيس بعد حماسة كافية لمقاربة جديدة لملف علاقتهم غير الودية بالاميركيين، ولم يُحط نفسه بفريق يوليه الاهتمام المطلوب على الاقل ينقصه ما ينجح فيه المحيطون بالحريري.

متفهماً دوافع هذا الوجود بتوفير الاستقرار الداخلي للبلاد وضمائه. وخلافاً للدور الذي لعبه في ما بعد خلفه السفير جيفري فيلتمان منذ مطلع 2005، اشهرأ قليلة بعد مباشرته مهماته في ايلول 2004، بانحيازها الى فريق لبناني ضد آخر والتوزط في تفاصيل الشؤون اللبنانية، وكانت العلاقات الاميركية - السورية باتت على فوهة مدفع منذ حرب العراق قبل سنتين، ثابر ساترفيلد ما بين عامي 1998 و 2001 على تأكيد دعمه الشرعية اللبنانية بما فيها اسباب استمرار وجود سوريا في لبنان، منتهزاً اجتماعه مرة تلو اخرى بالرئيس نبيه بري كي يهاجم حزب الله، ما احله في علاقة مترجحة مع المعارضة المسيحية وقتذاك.

الآن بات مساعداً لوزير الخارجية الاميركي، ينتظر موافقة مجلس الشيوخ على تعيينه بعد الاستماع اليه، وكانت السفارة في بيروت

الشرعية الدستورية. وازن مكارثي بينه وحكومة الرئيس سليم الحص الى حين حسمت واشنطن انحيازها الى معوض.

في غياب عون في المنفى، حل ساترفيلد على رأس سفارة بيروت ما بين عامي 1998 و 2001، حاضراً الانتقال من عهد الرئيس الياس هراوي الى عهد الرئيس اميل لحود. كان كتب في ما مضى الى عون، صيف 1989، يحضه باسم مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الاوسط ريتشارد مورفي على تسهيل انتخاب رئيس للبنان و«نحن لن ننسى فضلك»، لكن «الجنرال» رفض العرض مجدداً على غرار العرض الاول لمورفي في ايلول 1988. الا ان الدبلوماسي الاميركي لم يتردد يوماً في القول انه رفض عام 2003 استقبال عون. وهو لما يزل في منفاه. في واشنطن، في مرحلة التحضير لـ«قانون محاسبة سوريا واستعادة سيادة لبنان» قبل اقراره في الكونغرس في تشرين الثاني عامذاك. موقفان بارزان علقا في الازهان في مرحلة ترؤس ساترفيلد سفارة بلاده: اولهما تنديده بهجمات حزب الله على الداخل الاسرائيلي، رغم تجريده الضمني بحقه في مقاومة الاحتلال الاسرائيلي للجنوب، وقد شهد جلاءه عنه عام 2000. ثانيهما سهره على تطبيع العلاقات الاميركية - السورية في لبنان، وتالياً دفاعه عن وجود الجيش السوري على الاراضي اللبنانية الى حين تسوية ازمة المنطقة.

ابان ترؤسه السفارة، سهر ساترفيلد على تطبيع العلاقات الاميركية - السورية في لبنان (ا ف ب)



لاودمشهوداينت السفير السابق في بيروت دافيد ساترفيلد. المعين في مطلع هذا الشهر مساعداً لوزير الخارجية الاميركي لشؤون الشرق الاوسط. وبينت رئيس الجمهورية ميشال عون. منذ عام 1988 يجهم بينهما سوء التفاهم

### نقولاً ناصيف

ما بين الرئيس اللبناني ودافيد ساترفيلد، المساعد الجديد لوزير الخارجية الاميركي ريكس تيلرسون، فسحة رحبة ومعمرة من سوء التفاهم تعود الى نحو ثلاثة عقود تقريباً. عندما ترأس العماد ميشال عون الحكومة العسكرية الانتقالية بين عامي 1988 و 1990 كان دافيد ساترفيلد سكرتيراً ثالثاً ومستشاراً سياسياً في السفارة الاميركية في بيروت، وكان وراء قرار اقفال السفارة في ايلول 1989 ونقل طاقمها كله على عجل الى قبرص.

حينذاك، في ذروة المواجهة بين عون وسوريا واعلانه لشهور خلت حرب التحرير على جيشها عامذاك، ومن ثم انتقاد واشنطن هذا الاعلان وتوقيته، تظاهر مؤيدون لرئيس الحكومة العسكرية الانتقالية، كان على رأسهم الراحل جبران تويني وعشرات من الشباب، حاصروا مقر السفارة في عوكر، ما حمل ساترفيلد ليلاً على اخراج طاقمها الاميركي منها، بمن فيه الحراس والطباخون حتى. استمرت السفارة غائبة عن لبنان حتى تشرين الثاني 1990، في الشهر التالي لاطاحة عون.

اعاد حصار سفارة عوكر الى الازهان حصار السفارة الاميركية في طهران عام 1979 واتخاذها رهينة، ما حتم اخلاءها العاجل بعدما تيقن مسؤولو السفارة من ان «الجنرال» لن يردع المتظاهرين والمعنصمين فحسب، بل يضم موافقته على تصرفهم. بعد شهرين فقط، مع انجاز تسوية الطائف وانتخاب الرئيس رينه معوض، تحرك السفير الاميركي الجديد جون مكارثي من قبرص الى الهدن، كي يجتمع بالرئيس الجديد، من دون ان يعمد قبل انتخاب معوض الى تقديم اوراق اعتماده في لبنان الى عون، وكانت حكومته العسكرية الانتقالية تمثل

واستكمال القتال حتى إنهاء حالة «البلالين» وإحكام السيطرة على معقلهما في الطيرة. وكان قد طلب مهلة 24 ساعة تبدأ صباح الإثنين (أمس) للسيطرة على الطيرة. قتال الليل كان شديداً، بخلاف موقف قيادات فتح السياسية التي دعت إلى الالتزام بوقف إطلاق النار، معتبرة أن العرموشي يتفرد بالقرار. في المقابل، يؤكد الأخير أنه ينسّق خطواته مع قيادة الحركة في رام الله.

لمصلحة من يقاتل العرموشي؟ خلال معركة نيسان بين فتح وبدن، قررت قيادة الحركة وقف إطلاق النار قبل إنهاء مربع الطيرة. لكن «اللينو» وبعض العناصر تمردوا على القرار ومددوا القتال لثلاثة أيام إضافية. هذه المرة، لعب العرموشي دور «اللينو»، رافضاً الانصياع. مصدر فلسطيني مواكب رأى أن عدم التزام العرموشي، ومن خلفه رام الله، بوقف إطلاق النار، يندرج في سياق استباق خطة الجيش اللبناني للتعامل مع آخر معاقل التكفيريين بعد الانتصارات التي سجلت في عرسال ورأس بعلبك، إذ وصلت معلومات مؤكدة إلى قيادات الفصائل أن الجيش، بعد أن ينتهي من معركة الحدود، لن يقبل باستمرار «الوضع الشاذ» في عين الحلوة، بالتزامن مع استمرار تشييد الجدار حول المخيم. وبحسب المصدر، يحسب إصرار العرموشي إيجاباً لمصلحة قيادة السلطة الفلسطينية «التي تسعى لتقديم إنجاز للدولة اللبنانية، لكنها في الوقت ذاته تكسر تفرد اللينو (المحسوب على القيادي المفصول من الحركة محمد دحلان) بقرار الهجوم على المتشددين وترد الصاع لحماس التي تتهمها فتح باحتضانهم».

وكان العرقوب قد توعد بالذبح قيادات فتح والقوى الذين يتواصلون مع الدولة اللبنانية، واصفاً إياه بـ«الصليبي»، وموجهاً التحية إلى «داعش». اشتداد الاشتباكات ليلاً أدى إلى سقوط الرصاص الطائش في بعض أنحاء مدينة صيدا.

«كيف تتحوّل إلى ناشط». الخطوة الأولى، في هذا البرنامج، هي: «العثور على الدافع». من الأمثلة على الدافع: «ربما تكتشف أن شركة ما في مدينتك تتسبّب في تلويث النهر، وتقرر أنك ستفعل شيئاً للمساعدة على إيقاف هذا التلوّث». طبعاً، لاحقاً سيستمرّ التلوّث، إنّما أنت بهذا تكون سعيت لإيجاد معنى لحياتك. أمّا كيف يستغلّ الآخرون، السياسيون مثلاً، فأنت، على فرض صلاح نوابك، ستكون أطفه من أن تنتخبه لذلك. أنت تصنع على هذا النحو أصلاً.

خطابهم. أصبحنا أمام جماعات رأسمالية، في المحضلة، إنّما «ناشطة». أصبح هذا مشهداً عالمياً. جاءت ما تسمى «مواقع التواصل الاجتماعي» لتمسح تلك الصفة، الناشط، على نحو غير مسبوق. أصبح بإمكان أي «ضراب طبل» أن يوصف بالناشط. أن يُقدّم نفسه إلى الآخرين بهذا العنوان. أن تتسابق عليه وسائل الإعلام، التي لا تقلّ عنه ضحالة، والمليئة هي نفسها بالناشطين والناشطات، وهكذا الكل يأكل والكل سعيد. هناك مواقع إلكترونية تعلّمك

انتهاء الحرب الباردة كان لا بدّ من ناشطين وناشطات. ملايين الناس أصبحوا بلا عمل. لا بدّ للمتصّر في تلك الحرب أن يوظّفهم. كان هؤلاء، بداية، من اليساريين، أيّام الحالة السوفياتية عالمياً، فأصبحنا نرى شيئاً يرتدون قمصان غيفارا بينما هم يعملون، في العمق، بما يروق للرأسمالية العالمية. كائنات تمّ مسخها. لاحقاً، ومع مرور السنوات، طوّر هؤلاء أنفسهم، بعد أن دخلت عليهم أجيال جديدة، إلى حد أن تحوّرت المفردات اليسارية من أصلها في

هناك مواقع إلكترونية تعلّمك كيف تتحوّل إلى «ناشط» بضع خطوات

تحت اسمه «ناشط». هكذا فقط. لم يعد مهمّاً تحديد نوع النشاط أو مجاله. إنّهُ ناشط وكفى. يتعاطى المنشطات مثلاً؛ يذهب الصالح بالطالح. اللافت أن سمعة المنشطات، على لساننا، ظلّت سيئة، على عكس الناشط، الذي أريد له أن يكون «جميلاً». بعد

السخرية من هؤلاء أصبحت الآن موجة، كما كانوا هم، أساساً، موجة. يلعب هؤلاء، ولا بدّ من الاعتراف، في منطقة الفراغ، هذه المنطقة التي لم تجد بعد من يشغلها. هذه إحدى أزمات شكل عالمنا الحديث. أخيراً لا بدّ من الإشارة إلى أنّ تعريف الناشط، بحسب «لسان العرب» لا بدّ من منظور، هو: «ضد الكسل يكون ذلك في الإنسان والداية»... ومن معاني الناشط أيضاً، في لغتنا، بحسب المصدر نفسه، هو: «الثور الوحشي، الذي يخرج من بلد إلى بلد».